

## التجريب والنص الأدبي بحث في الخلفيات الفلسفية والمعرفية

فاطمة هلالي

جامعة العربي التبسي / تبسة

|                           |                          |
|---------------------------|--------------------------|
| تاريخ الإرسال: 2020-12-25 | تاريخ القبول: 2021-01-29 |
|---------------------------|--------------------------|

### ملخص:

يعتبر التجريب الأدبي ثورة على الكلاسيكية والقوالب الجاهزة التي سادت الأعمال الأدبية قبل الحربين العالميتين، وعليه تسعى هذه الدراسة إلى البحث عن جذور التجريب الأدبي وخلفياته الفلسفية والمعرفية كعوامل لتجديد النصوص وتجاوز التقليد.

**الكلمات المفتاحية:** تجريب أدبي، كلاسيكية، تحديد، فلسفة، معرفة.

### :Abstract

The literary experiment is a revolution against the classical and the prewar stereotypes, and the study seeks to find the roots of literary experimentation and its philosophical and cognitive backgrounds as factors for renewing texts and transcending tradition.

**Key words:** Literary experimentaation; Classical; Renewal; Philosopy; Knowledge.

## البحث:

## 1. مقدمة:

تتداخل عدة عوامل سياسية اقتصادية واجتماعية وثقافية في رسم صورة كل عصر، وباعتبار الفكر ومنه الأدب جزءا من هذه الصورة فإنه هو الآخر اتخذ عدة أشكال في التعبير والممارسة الأدبية، والحفاظ على تلك الصورة وتوريثها للأجيال كقيم ومرجعيات وثوابت لا يمكن تجاوزها ، و هذا ما أحدث جدلا كبيرا بعد الحربين العالميتين ، خاصة في الوسط الأدبي ، فباتت تلك الأشكال الموروثة غير قادرة على استيعاب الواقع الجديد الذي يسوده التوتر والاضطراب والخلخلة

من هنا أصبح ضروريا البحث عن أشكال وتقنيات جديدة تواكب الراهن وتعطي صبغة جديدة للأعمال الأدبية التي طالها التقليد والكلاسيكي والقوالب الجاهزة؛ فظهر ما يعرف بالتجريب الأدبي الذي يتمثل في تلك التقنيات والوسائل الجديدة التي وظفها الكتاب في أعمالهم كدعوة للحداثة وما بعدها.

وعليه جاءت هذه الورقة البحثية الموسومة ب" التجريب والنص الأدبي بحث في الخلفيات الفلسفية والمعرفية" للحفر عن ارهاصات ظهور التجريب في النصوص الأدبية ، وقد ركزنا في هذا البحث الحديث عن الرواية دون الشعر؛ كونها الجنس الأمثل الذي احتوى هذه الظاهرة-التجريب- وكونها الأكثر فاعلية في مواكبة تطور المجتمعات والتعبير عن حياة الفرد ومشاكله وهمومه وجميع أحواله.

فبدأت الدراسة بالتحويلات والتغيرات الاجتماعية التي مست أوروبا عقب الحربين كونها أبرز العوامل في ظهور التجريب، ثم الدراسات النفسية وما أفرزته ، وكذلك

الفلسفة الوجودية وما جاء به " جون بول سارتر ومؤيديه ، وما أحدثه اتجاه الرواية الفرنسية الجديدة من رؤى وتقنيات مستحدثة في كتابة النص السردي .

وبالعودة إلى الى الوطن العربي وحالة الكتابة التجريبية فيه تطرقنا إلى بعض المناهل التي وظف فيها التجريب بالنظر إلى خصوصية المجتمع العربي و مرجعياته الثقافية والفكرية وما طرأ عليه اجتماعيا وسياسيا مثل نكبة 1967 ، وكذلك حالة التراث العربي وعلاقته بالتجريب.

فكيف بدأ التجريب في أوروبا؟ وكيف أثرت العوامل المذكورة سابقا في ظهوره؟ وماهي سماته ؟ وكيف تجلّى في الوطن العربي ؟ وما علاقة التجريب الأدبي بالتراث العربي وهل التجريب الأدبي يعني القطيعة التامة ؟

هذا ما حاولنا الإجابة عنه من خلال هذه الورقة البحثية الموجزة.

## 2-التحولات الاجتماعية والمعرفية:

خلفت الحرب العالمية الثانية شرخا في البنى والأنظمة الاجتماعية والثقافية، ولأن الأدب هو الحياة على حد تعبير "ميخائيل نعيمة"، فإنه تأثر وأثر في هذا الواقع الذي تميز بالخلخلة والتوتر في المجتمع عامة والفرد بصفة خاصة؛ فلم تعد الأشكال الأدبية التقليدية قادرة على مواكبة هذا الراهن الذي أصبح عصيا ومختلفا.

ولما كانت الرواية هي الجنس الأدبي الأنسب للتعبير عن الواقع، اتجه أصحاب الواقعية -الاتجاه الواقعي - إلى تقييدها باعتبارها تصوير للواقع والأنسب لاستيعاب مشكلات الإنسان ومصاعبه، فكان الشكل الجاهز و المحكاة هي السمة البارزة في

الأعمال الأدبية خلال تلك الفترة وأضحت النظرية التقليدية البلاكية الإطار العام الذي يحكم كل الأعمال الأدبية ويقيدها باسم الواقع والالتزام.

وعبرت الرواية الواقعية عن عوالم وحالات ومواقف من الواقع، وشكلت جزءا من الذاكرة الاجتماعية والثقافية للفرد والمجتمع والعالم، غير أنها اتسمت بالجمود الشكلي والفني ولم تخرج عن كونها ردة فعل نتيجة للإغراق في الرومنسية التي بلغت في الخيال والأوهام.

وببروز الوعي الفردي والاجتماعي اتجه كتاب الرواية إلى التجديد والتطوير، باعتبار أن الرواية تنطلق من الواقع لكنها لا تتقيد به، ذلك أن الروائي يملك من القدرات التخيلية والأساليب التعبيرية والأشكال الفنية ما يجعله يتعدى حدود الواقع إلى أبعاد أخرى تملئها عليه طبيعة الكتابة والممارسة الإبداعية، وطبيعة تجربته ومنظوره وثقافته، التي تمثل شكلا من أشكال الوعي الذاتي الثقافي والاجتماعي.

إذا فالتجريب الروائي ارتبط بالتحويلات الاجتماعية والثقافية والمعرفية، حيث نسفت الرواية التقليدية

واضمحلت الشخصيات والحبكة وتفكك الزمان والمكان، وبات من غير المعقول الاتكاء على هذه الأشكال الكلاسيكية للتعبير عن واقع يتميز بالمغايرة والشك والتوتر والاضطراب ويسمو إلى ثورة ضد القيم والأنظمة الكابحة ثقافيا واجتماعيا واقتصاديا.

فكان هذا الواقع إعلاناً لنهاية الأنظمة الفاسدة والمهيمنة والمستبدة التي سلبت الحريات وقيدت الفكر والإبداع باسم المصالح العليا والادبيولوجيات الزائفة، وبداية للتجديد والتطوير واسترجاع الحرية الفكرية.

إن الجو السائد بعد الحربين، كان مناخاً مناسباً لميلاد أدب جديد، أدب يحمل صفات الوعي والحرية في الممارسة الإبداعية ويتسم بالفردة والتملص والتمرد، أدب يتخذ من القارئ عنصر مهم في العملية الإبداعية بعد أن همش في مراحل سابقة.

وأعيد الاعتبار للكاتب الذي كان مجرد آلة تنسخ وتحاكي في حدود ضيقة ويتخذ من الأسلاف حقيقة لا يمكن الحياد عنها، كما أعيد الاعتبار لفعل الكتابة الذي كان ميداناً للمعاني الجاهزة والدلالات المألوفة، والتصور الأحادي والنط الواحد والشكل السائد، ففتح المجال واسعا لممارسة الكتابة دون قيود بعيدا عن النموذج وعن المثال والجاهزية والدلالة الثابتة فانفجر النص ليعبر عن لامحدودية المعنى و تعدد المرجع وتعدد الثقافات .

وهذه الخصائص وغيرها تمنح الخطاب الأدبي فردة واستقلالية فتصير الرواية مثلاً: «جنساً أدبياً منفتحاً على قضايا الإنسان وأسئلته وقلقه وتطلعاته، وتمثل الذات الفردية والجماعية وحمولاتها الاجتماعية والنفسية والثقافية . بذلك يتسع أفق الرواية لتزخر بالأحاسيس الإنسانية والأفكار والرؤى والمواقف والتجارب.»<sup>1</sup>

فتداعيات الحربين على أوروبا التي خلفت بنى اقتصادية هشّة وسياسة مفككة ومجتمع مرتبك، قد انعكست على الفكر والثقافة أيضاً فكان لزاماً ابتكار أشكال

1 :نجد عز الدين التازي: التحريب الروائي وتشكيل خطاب عربي جديد، ندوة الرواية العربية المجلس الأعلى للثقافة، الدورة الخامسة للملتقى القاهرة للإبداع الروائي

العربي، 15/12، ديسمبر 2010، ص3.

معبرة للخيبات والانكسارات التي خيمت على أوروبا والعالم ككل ، لكنها أيضا تعبر عن التغيير والرفض والتجديد.

هكذا تختلط عدة عوامل معرفية واجتماعية سياسية وثقافية في ظهور التجريب الأدبي بكل ما يحمله من تقنيات ووسائل وأشكال جديدة ومغايرة لتلك القوالب الكلاسيكية الموروثة ، كعلامة فارقة في تاريخ الأدب.

مما لا شك فيه إذا أن لكل عصر ظروفه الخاصة ومقوماته وملامحه المميزة ، التي تنعكس سلبا أو ايجابا على كل مناحي الحياة بما فيها الأدب باعتباره الحاوي لأفكار الإنسان وحياته ومعتقداته ورؤاه وأحلامه وأوهامه وفلسفته، والتجريب الأدبي هو طفرة حدثية في حياة الأدب تصبو إلى المغايرة والاختلاف في سعي دائم نحو البحث عن الجديد المناسب والأكثر ابتكارا وجمالا وفنية فالتجريب الأدبي: « بحث عن أشكال جديدة تكسر المنوالية وتتمرد على القوالب الكلاسيكية الموروثة .بتعبير آخر مادامت العلاقة بين اللفظ والشيء لم تعد علاقة إحالة تعادلية بينهما، فإن التعبير غدا مستقلا عن معادله المادي، وأصبح تأشيريا على غياب أكثر منه تعبيرا عن حضور كلي...أي أن كل مبدع يخوض مغامرة البحث عن شكل ومضمون غير مسبوقين يكونان قادرين على تمثيل الجوانب المميزة في تجربته الروائية أو الشعرية.»<sup>2</sup>

### 3-علم النفس " نظرية فرويد":

يعتبر التحليل النفسي خطوة هامة على الصعيد العلمي والمعرفي ،لاسيما ما جاءت به النظرية الفرويدية، خاصة في الحقل الأدبي.

2 :مُجد بريدة :الرواية العربية ورهان التجديد ،دار صدی للصحافة والنشر والتوزيع،دبي،ط1، 2011،ص48.

ويتجلى هذا التأثير بين الأدب والتحليل النفسي من خلال اعتماد التحليل النفسي على بعض الأعمال الأدبية في التأسيس لبعض مفاهيمه، كما أن الأدب تأثر بهذه المفاهيم عن قصد أو دون قصد، كسبيل للبحث عن أشكال تعبيرية جديدة تكسر المألوف وتبحث عن التجديد وهذا ما أكده فرويد نفسه في حديثه على أن بداية الاهتمام بالتحليل النفسي كانت أدبية بامتياز: «بدأ الاهتمام بالتحليل النفسي في فرنسا بين رجال الأدب، ولابد كي نفهم أن نذكر أنه منذ كتابة "تأويل الأحلام" لم يعد التحليل النفسي موضوعا طبيا خالصا. فبين ظهوره في ألمانيا وظهوره في فرنسا يقع تاريخ تطبيقاته العديدة على فروع الأدب والجماليات، وعلى تاريخ الأديان وما قبل التاريخ، وعلى علم الأساطير والأدب الشعبي. وعلى التربية وهكذا ولا صلة لأي من هذه الأمور بالطب»<sup>3</sup>، ومن هذه المفاهيم:

### 3-1-التداعي الحر:

يقول فرويد في حديثه عن التداعي الحر: «بعد أن كنت أحفز المريض إلى أن يذكر شيئا عن موضوع بعينه. أصبحت اطلب منه أن يستسلم لعملية تداع حر، أعني أن يذكر كل ما يخطر بذهنه، على أن يتجنب أي توجيه شعوري لخواتمه»<sup>4</sup> فإذا كان فرويد يستخدم العلاج بطريقة التداعي الحر حيث تعبر الشخصية المريضة عن كبته وآلامها وذكرياتها وكل ما اختزنه في اللاشعور؛ فإن الأدباء استلهموا هذه التقنية أيضا في عالمهم الأدبي لاسيما الخطاب الروائي، فالتداعي الحر كمفهوم فرويدي: «استدعته الرواية التجريبية ووظفته كتقنية من تقنيات التجريب، على مستوى السرد؛ حيث يعتمد الكاتب إلى قطع السرد، ويترك الحرية للشخصية، تقول ما تشاء، وتعبر

3: سيجموند فرويد: حياتي والتحليل النفسي، تر: مصطفى زبور وآخرون، دار المعارف، ط4، ص95.

4: المرجع نفسه، ص63.

عن أفكارها وهواجسها، وآرائها وقلقها، وحيرتها، فتتشابك العبارات وتتداخل الصور والرموز، وتدخل اللغة في عالم سديمي، إلى درجة يصعب على القارئ متابعة القراءة واستيعاب المعاني.<sup>5</sup>

هكذا يوظف التداعي الحر تقنية للتملص من القيود الكلاسيكية التي كانت تقيد المؤلف وأفكاره فتجعل شخصياته سطحية محدودة الرؤية والوصف.

### 3-2- الوعي الفردي:

فرق فرويد بين الوعي واللاوعي، وأن هذا الأخير يظهر في اللغة والسلوك كنتيجة لما في بواطن الذات حيث تترجم على شكل زلات لسان أو فلتات أو هفوات على حد تعبيره: « ولعل كل من خلف منكم وراءه ماضيا مديدا حافلا بالتجارب سيقول بينه وبين نفسه انه ربما كان وفر على نفسه الكثير من الخيبات والمفاجآت المؤلمة لو تأتت له الشجاعة والعزيمة لتأويل الهفوات التي تقع على صعيد العلاقات فيما بين الناس على أنها عوارض منذرة، ولاعتبارها قرائن على مقاصد ونيات لا تزال دفينة في الصدور.<sup>6</sup> »

فوعي الفرد بذاته وبما حوله يجعله يتجاوز بعض مشكلاته ومصاعبه، وهذا ما انعكس على التجريبيين حيث أصبح الكاتب التجريبي يمارس نوعا من الوعي الفردي في كتاباته نتيجة وعيه بضرورة التجديد ووعيه بعالمه الفني والأدبي.

### 3-3- المونولوج:

يعتبر المونولوج أو الحوار الداخلي طريقة للتنفيس عن الآلام والرغبات والذكريات وغالبا يكون عن طريق التداعي الحر، كذلك وظف المونولوج كتقنية جديدة تسمح

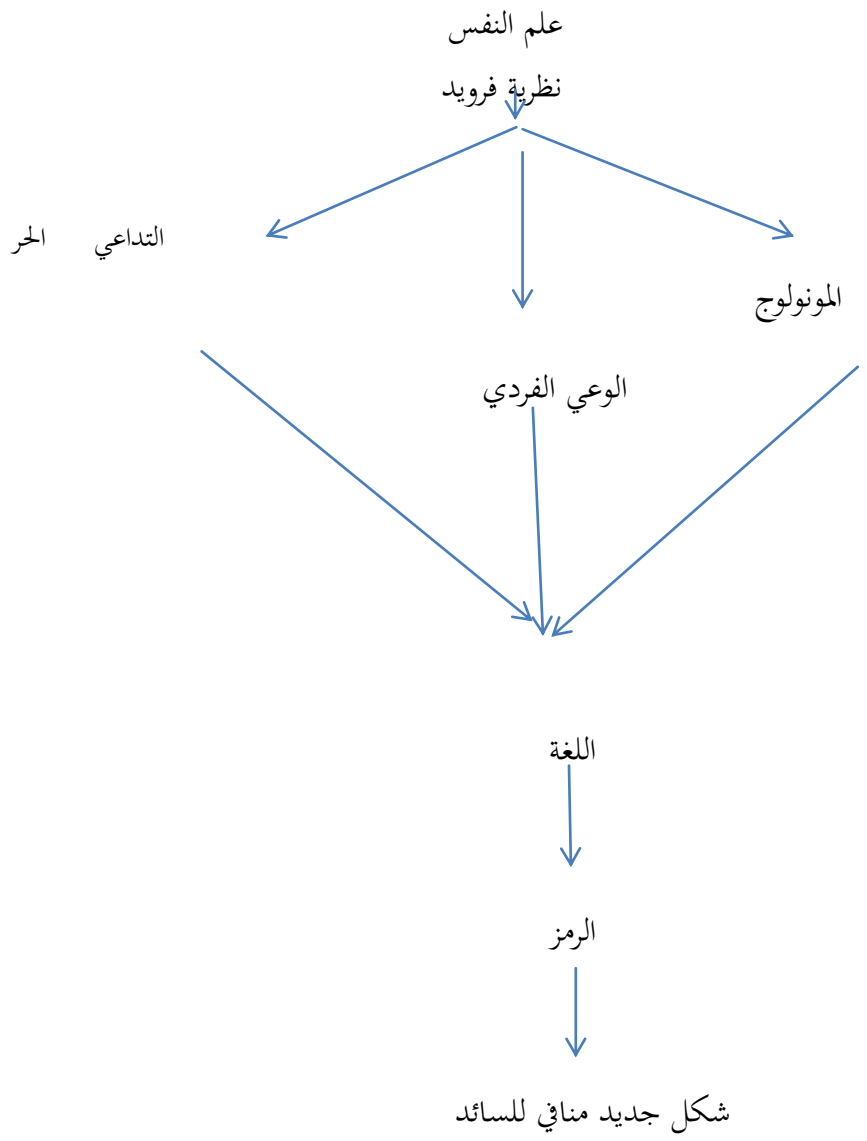
5: رجال عبد الواحد: التجريب في النص الروائي الجزائري، رسالة دكتوراه، جامعة العربي بن مهيدي، 2014/2015، ص121.

6: سيجموند فرويد: ممدخل إلى التحليل النفسي، تر: جورج طرايشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط3، 1955، ص61.

للمؤلف بوصف دواخل شخصياته وأبعادها النفسية المختلفة حتى يعرف القارئ بها من جهة وحتى يخلق توازن بين ما هو داخلي ذاتي وما هو خارجي واقعي. وهذه التقنية تعتبر كسرا للسائد وتشظيا في الشكل في هذا يقول مُجَدّ براءة: «يرجع تشظي الشكل الروائي إلى اهتزاز الشكل الواقعي الكلاسيكي المعتمد على سرد خطي، والتزام منظور أحادي، وطموح إلى القبض على الواقع في تحليلاته التفصيلية ومنطقه المرئي.. لكن عوامل معرفية جديدة، زحزحت هذا المفهوم للواقع، وفي طليعتها إثبات التحليل النفسي لتعددية الذات و الأنا، وتعايش الخطاب الملفوظ مع طبقات من الحوار الداخلي (المونولوج) تنازع الكلام المعلن، وتمتص من الكلام المكبوت واللابد في مناطق النفس السرية... وهذا ما جعل السرد الحديث يحقق الشفافية الداخلية أكثر من بقية طرائق التعبير الفني الأخرى».<sup>7</sup>

ويمكن أن نلخص علاقة علم النفس بالتجريب في المخطط التالي:

7: مُجَدّ براءة: الرواية العربية ورهان التجديد، ص 51.



#### 4-الفلسفة الوجودية:

تعتبر الفلسفة الوجودية الإنسان موضوعا لها تفكيرها وفعلا، وبما أن الفلسفة والأدب ملتزمان فإن آثار كل منهما على الآخر واضحة وجلية ف: «قوي هو تأثير الأفكار الوجودية في الفنون الجميلة إلى حد أن البعض يفضل أن يصف الوجودية بأنها حركة أدبية. لاشك أن مؤلفين مثل دوستوفسكي وكافكا، وكتاب مسرحيين مثل بيكيت ويونيسكو، وفنانين مثل جياكوميتي وبيكاسو يجسدون العديد من السمات المميزة للفكر الوجودي»<sup>8</sup>

وبالبحث عن علاقة التجريب بالوجودية فإننا نجد أن التجريب في الحقل الأدبي قد تأثر ببعض مفاهيم الوجودية وموضوعاتها ومن بينها:

#### 4-1- الحرية والمسؤولية:

الوجودية فلسفة تدور حول الحرية وقوامها يتمحور حول حقيقة أننا: «نستطيع الانفصال عن حياتنا لوهلة وتأمل ما كنا نفعله فيها بهذا المعنى فإننا دائما أكثر من أنفسنا لكننا مسؤولون مثلما نحن أحرار»<sup>9</sup>

هكذا يجعل الفكر الوجودي الحرية غاية وضرورة في حياة الإنسان، لكن شرط ارتباطها بالمسؤولية الواعية: «والحرية من حيث هي تعريف بالإنسان لا تتوقف على

8 : توماس آرفلين : الوجودية مقدمة قصيرة جدا، تر: مروة عبد السلام، مؤسسة هندواي للتعليم والثقافة، مصر، ط1، 2014، ص27.

9 : المرجع نفسه، ص 21.

حرية الآخرين، ولكنني عندما ألتزم، أطلبها لنفسني كما أطلبها للآخرين، وأجعلها غايتي، وأدمج في تلك الغاية حرية الآخرين.<sup>10</sup>

هذا التصور الفلسفي دخل النص التجريبي، حيث أصبح هذا الأخير ميدانا يمارس فيه الكاتب حريته وحرية الكتابة في حد ذاتها دون تقييد ودون التزام لشكل أو بنية فنية معينة، فعالجت الكتابة التجريبية قضايا الإنسان ووجوده بصورة جديدة تنطلق من حرية الذات المؤلفة في التعبير عن منظورها ورؤيتها ومخيلتها وهذا يستدعي حرية الكتابة حتى تتحقق في مساحة واسعة بعيدا عن الانغلاق والمسايرة للكتابة الكلاسيكية التي لا تستجيب للتغيرات والظروف الجديدة .

#### 4-2-فكرة التجاوز:

يقول الوجوديون بفكرة التجاوز بحيث على الفرد أن يتجاوز المعتقدات السائدة والأفكار الطوباوية التي رسمت منذ عصور وترسخت في الذهنية كثوابت لا يجب الحياذ عنها وكمازق لا يمكن التملص منه وفي سبيل البحث عن الوجود الإنساني يقول " سارتر" في حديثه عن "الهيومانية" وردا على معارضيه: «الإنسان كائن متعال بطبعه، يتجاوز ذاته ويعامل الأشياء معاملة مرجعها هذا التجاوز. إنه إذن في صميم التجاوز، وليس هناك من عالم آخر إلا عالم الانسان، عالم الذاتية الإنسانية.»<sup>11</sup>

ففكرة تجاوز الذات وتحريرها هي السبيل الأمثل عند سارتر لبلوغ غاية الوجود ولن يتحقق وجوده الإنساني بتجاهه نحو ذاته، ولكنه سيحقق هذا الوجود بتجاوزه لذاته،

10: جان بول سارتر: الوجودية مذهب إنساني، تر:عبد المنعم حقني، منشورات الدار المصرية للنشر والتوزيع، مصر، ط4، 1964، ص58.

11: المرجع نفسه، ص66.

وسعيه خلف غايات خارج ذاته بهذه الطريقة وحدها يحرر ذاته ويحقق وجوده كإنسان.

فالطرح الوجودي يهتم بالذات الإنسانية وعن معناها في خضم التغيرات والضغوطات الاجتماعية التي تمارس عليه وبالتالي فإن الوجودية: «فلسفة تركز على الإنسان. وعلى الرغم من أنها لا تعارض العلم، ينصب تركيزها على بحث الذات الإنسانية عن الهوية والمعنى وسط الضغوط الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع الكبير الساعية لفرض السطحية والامتثال للتقاليد.»<sup>12</sup>

هذا التصور دخل عالم الأدب أيضا حيث دعا التجريبيون إلى تجاوز البنى الجاهزة والأشكال الكلاسيكية القديمة والبحث عن البدائل والتقنيات الجديدة التي تحقق للنص استقلاليته وفرادته، فتجاوز المؤلف وكسر القوالب الجاهزة هو وعي وإدراك للذات المؤلفة وفهم لوجودها وضرورة تحديد هويتها ضمن هذا الوجود.

وبالعودة إلى العالم العربي وكإشارة إلى فكرة التجاوز نجد الناقد " سعيد يقطين " يقر في كتابه القراءة والتجربة الصادر عام 1985 أن «الإفراط في ممارسة التجاوز هو ما تتم تسميته عادة بالتجريب»<sup>13</sup>، فتجاوز البنى وتجاوز الجاهزية والقوالب هو ما يحرر ذات الكاتب بما يحقق مفهوم التجريب.

12 : المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

13 : سعيد يقطين: القراءة والتجربة حول التجريب في الخطاب الروائي الجديد بالمغرب، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2014، ص287.

## -4-3 فكرة التمرد:

جاءت فكرة التمرد في الوجودية موجة لكسر المألوف من عادات وقيم طال أمدها، وطريقة للتغيير والبحث دائما عن الجديد في سبيل تحقيق الوجود فانعكس هذا التصور الوجودي الفلسفي على كتابات الوجوديين في الأدب فجاء: «أدب التمرد، والسعي نحو التحرر، أدب أولئك الكتاب الذين يدينون، بقوة وعنف لم يسبق له مثيل، أحداث التاريخ، ويمزقون أقنعة المصطلحات المألوفة في السلوك، والتفكير. هم لا يعترفون بأن الإنسان المعاصر الحديث قد تقدم وتغلب على ميراث الوحشية في تركيبته النفسية والسلوكية إلا في حدود ضيقة».<sup>14</sup>

يرفض الفكر الوجودي القيم والمرجعيات السائدة والمستبدة، التي قيدت الإنسان وسلبته حريته، وانطلاقا من تمرده وثورته على هذه القيود يكون قد حقق ذاته وحرر نفسه ومن حوله وهذا ما نجده في التجريب حيث، يعلن الكاتب ثورته وتمرده على الموروث الفني شكلا ومضمونا انطلاقا من اللغة وصولا إلى المعنى والبنية، كوسيلة للتجديد ورفض الراهن وترك الحرية للذات لتمارس الكتابة دون ضغوط ودون امتثال للقبول الجاهزة والمرجعية المقيدة التي تفرض نفسها على الكاتب فرضا فتحد من إبداعه وتعيق مخيلته وتكبت مشاعره وتضيق نطاق رؤيته للذات والمجتمع والعالم والفن.

وهكذا تتحقق غاية الوجود الإنساني وغاية التجريب التي تصبو إلى «العالم الجدير بالإنسان حقا هو العالم الذي تسطع فيه شمس العدالة بأكبر قدر ممكن من السطوع. وشمس المعنى أيضا. عالم يعرف قدر الكرامة الإنسانية. وتتدخل فيه إرادة الإنسان لكي تسير مصائرهم، حتى لو عرفنا هذا العالم، ومن غير قناع، ومن غير ضباب بل

14: إدوارد الخراط: من الصمت إلى التمرد دراسات ومحاورات في الأدب العالمي، مطابع روز اليوسف الجديدة، دط، ص213.

على الأخص إذ نعرفه بلا تمويه ولا تضليل ولا ظلال من التعمية عالم ليس علينا أن نقبل ما فيهمن حق وحيف وعبثية ، بل علينا أن نجهد لكي نبث فيه ذكاء ونصفه ودلالة».<sup>15</sup>

ويمكن ربط العلاقة بين الفلسفة الوجودية والتجريب في الأدب في هذا الجدول:

| الفلسفة الوجودية                                                | التجريب الأدبي                                           |
|-----------------------------------------------------------------|----------------------------------------------------------|
| التمرد على الواقع وإحداث ثورة                                   | التمرد على الأشكال الفنية التقليدية                      |
| تجاوز الفرد للأفكار الطوباوية والمعتقدات السائدة وتحمل مسؤوليته | تجاوز البنى الكلاسيكية واستحداث تقنيات خاصة بالنص الجديد |
| مفهوم الحرية في الفكر الوجودي عند سارتر ومعاصريه                | النص ميدان لممارسة حرية الكاتب والكتابة                  |

## 5- الرواية الفرنسية الجديدة:

الرواية الجديدة هي تيار أدبي فرنسي ظهر منتصف القرن العشرين وهو « اتجاه انبنت تنظراته على إحالات تلتقي بمرتكزات فلسفية ومعرفية مغايرة للطرائق المألوفة في النظر إلى العالم والتاريخ وسلوكات الأفراد.»<sup>16</sup>

15: إدوارد الخراط : من الصمت إلى التمرد دراسات ومحاورات في الأدب العلمي، ص111.

16: محمد برادة : الرواية الجديدة ورهان التجديد، ص79.

كانت الرواية الفرنسية بمثابة نتاج للوضع الاجتماعي والاقتصادي الذي آل إليه الإنسان ، فانعدمت كل قيمة اجتماعية له، وأصبح دوره محصورا في إطار ضيق أمام السلطة الاقتصادية والسياسية المهيمنة.

وحملت الرواية الفرنسية الجديدة بذور التغيير التي ستأخذ فيما بعد منعرجا حاسما في حقل الأدب عموما والسرديات على وجه الخصوص لتقود ثورة الإبداع والمغامرة في عالم التجريب.

حيث جاءت الرواية الجديدة كنقيض للرواية التقليدية وكتجاوز للرواية الحديثة عبر استخدام أساليب وتقنيات جديدة ،فروب غرييه وناتالي ساروت وميشيل بوتور، وكلود سيمون وغيرهم قد نسفوا البنية الروائية التقليدية وأوجدوا بنية فنية روائية جديدة تتميز بأنها تنثور على« كل القواعد وتنكر لكل الأصول، وترفض كل القيم والجماليات التي كانت سائدة في كتابة الرواية التي أصبحت توصف بالتقليدية، فإذا لا الشخصية شخصية، ولا الحدث حدث، ولا الحيز حيز ولا الزمان زمان، ولا اللغة لغة، إلا أي شيء مما كان متعارفا في الرواية التقليدية ،متآلفا مقبولا في تمثل الروائيين الجدد».<sup>17</sup>

فإذا كان بلزاك قد قدس الشخصية بينما جون بول سارتر عبر عن أزمتها، فإن روب غرييه قد محاها واستبدلها بظواهر سطحية، فالرواية التقليدية لم تعد قادرة على تلبية حاجات العصر الجديد خاصة بعد ظهور الرواية الحديثة التي مثلت أول انتهاك للبناء التقليدي.

17 :عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد240، الكويت، 1998، ص48.

فتيار الرواية الجديدة نبذ الشخصية والزمن الروائي، في حين لجأ إلى أساليب سردية جديدة كاستخدام ضمير المخاطب كما عند ميشال بوتور: « تكتب الروايات عادة بصيغة المتكلم أو الغائب، ونحن نعلم اليقين أن اختيار إحدى هاتين الصغيرتين هو من الأهمية بمكان وأن ما ينقل إلينا بصيغة الغائب هو غير ما يمكن أن يقال لنا بصيغة المتكلم لكنه باستخدامه لضمير المخاطب يخول له جعل القارئ يحتل مكانة المعنى بالقصة: يجب استعمال ضمير المخاطب الذي يمكن أن يوصف في الرواية بأنه الشخص الذي تروى له قصته الخاصة به .»<sup>18</sup>

بالإضافة إلى هذا نجد أن الزمان والمكان يختلف في الرواية الجديدة التي « انعتقت من الزمن الخارجي ن زمن الساعات والتقويمات لتخضع للزمن الداخلي، الزمن الذاتي الإنساني، وذلك عبر الاستعانة بالحوار الداخلي (المونولوج) ». <sup>19</sup>

كذلك تغير مفهوم المكان الروائي، وأخذ أبعادا دلالية أخرى حاملة لأفكار ورؤى تتصل بالشخص والواقع والأحداث، لكنها تنمهي في بنية فنية جمالية جديدة غير مألوفة لدى الذائقة الأدبية.

كما تعتمد الرواية الفرنسية الجديدة على الوصف الخارجي للظواهر بعيدا عن الالتزام أو أي موقف سياسي أو أخلاقي أو اجتماعي بشكل واضح وهذا يعني تمردها وخروجها على بنية الرواية التقليدية والحديثة.

فهذا الاستحداث في البنيات والأشكال والمضامين السردية هو بمثابة ثورة على الأعراف المكرسة والبناء المحدد والشكل المرجعي الذي وسم الأعمال الأدبية في تلك

18 : ميشال بوتور :بحوث في الرواية الجديدة ، تر: فريد أنطونينوس، منشورات العويدان، بيروت ،لبنان، ط2، 1982، ص68.

19 : جورج دوليان : الرواية الجديدة في فرنسا مغامرة في الشكل والمضمون، مجلة العربي، ع544، وزارة الإعلام الكويت، ص94.

الفترة، ما أنتج خطابات ممتة مكررة الشكل والدلالة ومحدودة المعنى، جعلت القارئ سلبي لا يدخل في صميم العملية الإبداعية ويكتفي بتلقي العمل دون مشاركة فعالة في صوغه وتوجيهه الوجهة التي يريد.

بجهود رواد الرواية الفرنسية الجديدة وغيرهم، تحول مجرى الرواية والبناء السردى من خلال التقنيات الجديدة التي وظفوها والأشكال التي استحدثوها في الكتابة السردية والتي تقوم أساسا على الحرية الإبداعية والفكر المتحرر.

وفتح الباب واسعا أمام القارئ ليشترك في ولادة هذا العمل الأدبي ويساهم في إخراجه إلى النور بناء على خلفياته المعرفية ورؤيته للأشياء والواقع بعد أن اقتصر دوره على القراءة الجافة والسطحية والمحدودة في الأعمال التقليدية التي لم تكن تعطيه حق التفاعل .

وبالعودة إلى عوامل ظهور الرواية الجديدة حيث نجد أن اجتياح الآلة لحياة الإنسان وتطور وسائل التواصل وبروز العصر الرقمي بالإضافة إلى انخيار السرديات بعد الحربين العالميتين الأولى والثانية وفقدان العالم لمعنى توازن القوى، وتحوله إلى قرية كونية، حيث بدأ الإنسان يفقد وجوده وذاته وإنسانيته شيئا فشيئا فأصبح من السهل أن يحل محله اسم مستعار أو رمز أو رقم، وأضحى الواقع شكلا مراوغا يصعب الإمساك به وهذا أفرز طرق تعبير جديدة وأشكال قادرة على مسايرة هذا الراهن.

أي أن الرواية الجديدة تعتبر انطلاقة جديدة في الإبداع الأدبي من أجل انتاج خطاب روائي جديد يتسم بالجددة والفردة والتميز، وهذا لا يتأتى إلا من خلال عملية الهدم والتفكيك وإعادة البناء؛ هدم الأشكال الجاهزة والموروثة، وتفكيك القيم السائدة في حقل الإبداع والفن، وإعادة بناء عمل في يحمل في طياته عوامل فرادته في

ذاته كما عبر عن هذا "ميشال بوتور": «أن الروائي ليس هو الذي يصنع الرواية، بل الرواية هي التي تصنع نفسها بنفسها».<sup>20</sup>

وفي حديثه عن فن القصة وجمالياتها يشير "حسين المناصرة" إلى ضرورة أن تقع «ضمن دائرة المغامرة والتجريب وأن تسير في طريق الانفتاح على الأجناس الأدبية الأخرى وعلى الحياة، وأن تتقصد جماليات التحطيم والتكسير لما تم التعارف عليه في بناء الحكاية التقليدية أو النص السردي التقليدي، مع كون اصطلاح المغامرة والتجريب هنا لا يعني الفوضى والتلاعب بعناصر السرد الحاضرة أو الغائبة على طريقة خالف تعرف».<sup>21</sup>

بمعنى أن الخلط العشوائي لعناصر السرد دون وعي أو رؤية لا يحقق فعل المغامرة والتجريب مالم ينطلق من ذات واعية ومدركة لعالمها السردي فنيا ودلاليا فيكون القصد عندئذ بجماليات المغامرة والتجريب «أن يكون القاص واعيا لكتابة القصة التقليدية، وفي الوقت نفسه يعرف كيف يكتب نصا قصصيا إشكاليا يحطم البناء التقليدي، فيبدأ من النهاية، أو يعتمد على تيار الوعي، أو يغيب الفكرة أو يعطل الزمن... على سبيل المغامرة والتجريب في مجال هذه الكتابة السردية الأكثر تطورا ومعاصرة».<sup>22</sup>

فالرواية وباعتبارها الجنس الحاوي لجميع الأجناس الأدبية تتميز بكونها جنس مهجن فهي تستفيد من الأشكال الأدبية والفنية الأخرى كالموسيقى، والتاريخ

20: ميشال بوتور : بحوث في الرواية الجديدة، ص14.

21 : حسين المناصرة مقاربات في السرد الرواية والقصة في السعودية، عالم الكتب الحديث، إربد ، الأردن، ط1، 2012، ص278.

22 : حسين المناصرة : مقاربات في السرد الرواية والقصة في السعودية، ص279.

والميثولوجيا والتراث... إلخ ، كما تنفتح على المرجعيات المختلفة والثقافات المتعددة، وتتجاوز حدود القومية لتعبر عن الإنسان ككل.

وانطلاقا من هذا المفهوم المتغير والمتطور للرواية يمكن القول أنها جنس أدبي متحرر الذي لا يقبل التقييد ولا التوجيه؛ إذ لا تتقيد بفترة ولا وطن ولا مرجع ولا ثقافة معينة إنها شكل هلامي زئبقي يصعب الإمساك به ، وبهذا التوظيف يمكن أن تكون رواية جديدة أو تجريبية .

كما أن ارتباط الرواية بالواقع والمجتمع جعلها تخضع لقانون التغير المستمر، فهي جنس حامل لدواعي الرفض والتجاوز في ذاتها لتعبر عن كل حقبة مميزة في حياة الإنسان بما يناسبها ويخدمها.

هكذا استطاعت الرواية الفرنسية الجديدة أن تخطو خطوة مهمة بالأدب، فقد قدمت منجزات أدبية وفنية وثقافية غيرت في أنماط التفكير الإنساني الفرنسي والأوروبي والعالمي ككل، فدلّت على حرية التفكير وحرية الإبداع والتعبير.

## 6-نكبة 1967 وبدايات التحول الأدبي:

خلفت هزيمة 1967 انكسارا عميقا مس جميع الميادين السياسية الاقتصادية والاجتماعية والأدبية أيضا فنتج عنها ظهور خطاب أدبي يتميز بالجدّة والاختلاف خاصة الخطاب السردي الذي واكب هذا الواقع الاجتماعي الجديد.

هو خطاب انطلق من رغبة جماعية في التغير ورفض المقولات الادبولوجية السائدة، خطاب :«مباشرة بداية لتكريس انشقاق الأدب العربي عن الخطاب الإيديولوجي المحتمل لمقولات قومانية أو أممية أو وطنية ماضوية... بعيدا عن الوصائية

والتسخير ،سيأخذ الخطاب الأدبي العربي بعد 1967 طريقه الخاص ،متخلصا من الشعارات الفضفاضة والتفأول الأبله، مرتادا طريق الجحيم، بعد انجلاء الأوهام ليسائل المسكوت عنه في مناطق الذات والمجتمع»<sup>23</sup>

تغدو خطابات ما بعد 1967 كاشفة وفاضحة للزيف والوهم والخداع معلنة عن بداية جديدة ونظرة مختلفة للواقع والعالم إنه التمرد على القيم والاديولوجيات الكاذبة وثورة في وجه الأنظمة السياسية المخبئة للمسكوت عنه ،تمرد حمل معه رياح التجديد وفق أشكال مستحدثة قادرة على إعادة الاعتبار لكل ما همش والتعبير عن حالة الضياع والقلق والاحباط التي سادت آنذاك.

إن الكتابة السردية بعد النكبة هي نقطة الانطلاق في التجديد والتجريب في الوطن العربي ، حيث باتت الأشكال التقليدية غير قادرة على استيعاب الواقع الجديد ،فكان لزاما ابتكار أشكال فنية جديدة وبنى سردية مختلفة ومعبرة تستجيب لنظرة الكاتب الجديدة وتكشف عن الخييات والانكسارات التي مست الأفراد كما المجتمعات العربية.

فالشرح السيكولوجي و السوسيوثقافي الذي أحدثته النكبة صاحبه شرح أدبي أدى إلى بلورة الوعي الفردي والجماعي في الكتابة السردية ، وهو عامل مهم في بروز نزعة تجديدية على مستوى الشكل والمضمون.

إذا فتداعيات نكبة 67 على الأدب العربي عموما والكتابة السردية خصوصا ايجابية وحاملة لملامح التجديد والتغيير في الشكل والمضمون وخطوة هامة في المسار

23: نجهذ برادة: الرواية العربية وهران التجديد،ص50.

الأدبي العربي الذي طالته قيود الكلاسيكية، فكبحت مخيلة أصحابه و جمدت رؤاهم في قوالب جاهزة ومعاني سطحية، بعيدا عن حرية الذات الكاتبة وحرية الكتابة.

## 7-استلهام التراث العربي:

لجأ كتاب الرواية التجريبية العربية إلى توظيف التراث في كتاباتهم السردية ورغم أن صفة التراثية شديدة اللصق بالتاريخ وهو ما يحيلها إلى مرحلة زمانية معينة مضت وانقضت ، لكن المفارقة أن سمة التجريب قادرة على بعث وإحياء التراث وإعادة قراءته بطريقة جديدة ووفق آليات مستحدثة ومبتكرة ،حيث تضمن للتراث أصالته وتعتبر في الوقت ذاته عن الراهن نتيجة فعل القراءة وفتح باب التأويلات الممكنة وهذا ما يجعل النص التجريبي يتسم بالانفتاح والجدة والبحث الدائم عن البديل المعبر والموازي .

فالروائي التجريبي العربي « يستوحي واقعه في مظاهره المتعددة ،وإيحاءاته و رموزه وأساطيره المعاصرة ، من أجل تشكيل خلفية معرفية وثقافية بمرجعيات الواقع العربي وخصوصياته، وفي إطار المغامرة، بكتابة نصوص روائية متعددة الأبعاد والمظاهر والتجليات ،سواء على مستوى الاشتغال على استراتيجية الأشكال أو على مستوى مواكبة المجتمع وتحولاته»<sup>24</sup>

يعتبر التراث همزة وصل بين القديم والجديد من خلال إعادة قراءته ، ووضعه في سياقات حديثة وهو ما يجعل الأعمال الأدبية تتصف بالرصانة والفراة والتميز،

24 :نجد عز الدين التازي: التجريب الروائي وتشكيل خطاب عربي جديد،ص7.

فتوظيف التجريب لا يعني القطيعة التامة مع كل ما هو قديم ولكن إعادة الانفتاح والممارسة والاشتغال دون قيود هو ما يحقق المغامرة والتجريب .

وهذا ما عبر عنه زكي نجيب محمود في حديثه عن التراث :«إنني لعلّ علم بأن هناك شيئا اسمه التراث ، ولكن قيمته عندي هي في كونه مجموعة من الوسائل تقنية يمكن أن نأخذها عن السلف لنستخدمها اليوم ، ونحن آمنون بالنسبة إلى ما استحدثناه من طرائق جديدة... وأن الحالة التي يعانها العالم اليوم هي ، في رأيي، كافية للدلالة على ما تستطيعه تلك الصور الفكرية التقليدية .. في حل مشكلاتها»<sup>25</sup>

لقد ساهم التراث في بلورة الفكر العربي وفتح آفاق كانت ضيقة فكان الصورة والمعنى والدلالة والرمز وتحرر الروائيون من الشكل المتبلور عبر التاريخ.

إن توظيف التراث في الحقل الأدبي يعد وثبة نوعية في تاريخ التجريب ومغامرة شكلية ومعنوية وجهت نمط الكتابة في العالم العربي وجهة جديدة ورؤية متطورة في النظر إلى التراث والموروث التي تجاوزت حدود السطحية إلى الاستقرار والانفتاح وإعادة الاشتغال والممارسة.

## 8-خاتمة:

كحوصلة لهذه الورقة البحثية حول التجريب والنص بحث عن الخلفيات المعرفية والفلسفية يمكننا قول ما يلي:

- تعتبر التحولات الاجتماعية والمعرفية التي مست أوروبا خاصة والعالم أجمع بمثابة إرهاصات لبداية التجريب الأدبي ، حيث تخلخلت البنى الاقتصادية والاجتماعية

25: زكي نجيب محمود: تجديد الفكر العربي، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط2، 1973، 17.

والثقافية مما أثر في الفكر والفن ومنه الأدب ، فظهرت الثورة والتمرد على التقاليد الكلاسيكية التي كبحت مخيلة الكاتب وقيدت حريته في ممارسة الكتابة.

- ظهر تأثير علم النفس في الحقل الأدبي من خلال استناد التحليل النفسي على النصوص الأدبية، وتبلورت طرق الكتابة الأدبية من خلال مفاهيم وتصورات علم النفس والتي منها:

- الوعي الفردي تمثل في وعي الفرد لذاته وللعالم من حوله وهذا ما انعكس على الكتابات التجريبية حيث أصبح للكاتب نوع من الوعي الذاتي في ممارسة الكتابة ووعيه بعالم الكتابة أيضا من خلال طبيعة المواضيع وطريقة الاشتغال عليها.

- التداعي الحر وظف فرويد هذه الطريقة في علاج المرضى فيترك المريض يمارس تداعي المشاعر والخواطر دون قيود أو كبت، انتقلت هذه التقنية للعالم الأدبي خاصة في الخطاب الروائي حيث يترك الكاتب الشخصية تمارس التداعي الحر فتعبر عن آلامها وأحزانها ذكرياتها وكل ما يجول في خواطر النفس دون قيد وبطريقة عفوية تلقائية.

- المونولوج طريقة في التنفيس عن دواخل الذات وما تشعر به ، كذلك وظف في الكتابة التجريبية خاصة في الخطاب الروائي حيث تمارس الشخصيات الحوار الداخلي كمساحة للتعبير والتنفيس وتعريف القارئ بها واقعها وضعيتها وحالتها النفسية.

فكل هذه المفاهيم النفسية أثرت في الكتابة الأدبية وفي لغتها فأصبحت لغة رمزية لها دلالات وإيحاءات مختلفة تعتبر كسرا للمألوف وتجاوزا للتقاليد الموروثة .

- الوجودية اتجه فلسفي يركز على الوجود الإنساني قولاً وفعلاً أثرت مفاهيمها في الأدب والفن، ليغير هو الآخر من تقنياته ووسائله تماشياً مع الطرح الوجودي ومن بين هذه التصورات والمفاهيم:

- الحرية والمسؤولية هي أساس الفكر الوجودي حيث يقوم على حرية الفرد في ممارسة وجوده في الحياة لكن هذه الحرية مقيدة بمسؤولية واعية تحدد حرية الفرد وحرية الآخر. كذلك انتقل هذا المفهوم على الحقل الأدبي حيث يمارس الكاتب حرته في الكتابة والتجديد بعيداً عن المحاكاة .

- فكرة التجاوز تقوم هذه الفكرة على تجاوز الأعراف والتقاليد والقيم السائدة في المجتمع والأفكار الطوباوية المألوفة والمكررة والكابحة للفكر والخيال والحرية، لتدخل هذه الفكرة الميدان الأدبي حيث يتجاوز الكاتب حدود المعارف عليها في الكتابة الأدبية ويتجاوز المألوف والكلاسيكي للبحث عن التجديد الذي يواكب الراهن والمستقبل.

- فكرة التمرد وذلك بالتمرد على السلطة والقيم وإحداث ثورة اجتماعية ثقافية اقتصادية، وفي الأدب التمرد على المرجعيات والقوانين الصارمة ولأجل تحقيق الذات وممارسة الحرية وإحداث التغيير في الادب والفن.

- جاءت الرواية الفرنسية الجديدة ردة فعل على الكلاسيكية والتقليدية في الأدب في النص الروائي، حيث استحدثت مفاهيم تتجاوز القوالب الجاهزة من شخصيات ثابتة وخطية الزمن ومحدودية المكان، ليحل محلها ضمير المخاطب والمونولوج واللعب الزمني والمكاني وغيرها من الظواهر.

- في الوطن العربي ظهر التجريب كطريقة مستحدثة في الكتابة لها ميزاتها وخصائصها في الكتابة السردية العربية وقد تدخلت عدة عوامل في ظهور التجريب الأدبي على غرار الاحتكاك بالغرب والتأثر الفكري والفني والثقافي مثل:

- نكبة 1967 التي حولت الكتابة في الوطن العربي من الكلاسيكية إلى التجديد بعد تبلور الفكر العربي وتطور الوعي الفردي والجماعي فكانت تلك الكتابات فاضحة وكاشفة للزيف والته الذي عاشه الوطن العربي ، فجاء أدب ما بعد النكبة معبر عن الخيبات وكاشف للأنظمة ومجدد للموروث .

- استلهام التراث العربي وإعادة توظيفه في الكتابة الأدبية بطرق وتقنيات تخالف السائد وتبحث عن دلالات ورؤى جديدة، هو من بين الأشكال التي دخلت في تشكيل وبلورت مفهوم التجريب وتوظيفه في الطن العربي.